

سلطة الدلالة السياقية والحقولية للكلمة الشعرية في الشعر العربي: مُقارنة معجمية في قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران الباحث: إبراهيم بن يوسف القائدي المملكة المغربية

الملخص:

لقد رأى الدرس اللساني المُستجد، والمواكب لنمو المعارف اللسانية في مُختلف حقول وروافد الدراسات اللغوية، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين الماضي، وحسب ما توقفنا عنده فقد تغيّرت اهتمامات الدرس والبحث اللسانيين في مُقاربتهم اللغة مُقاربات عديدة، كالمقاربة الدلالية، وهو ما يعني أنه صار لزامًا على الدرس اللساني الجديد أن ينظر إلى اللغة نظرة مُغايرة لنظرته إليها في بدايات نُشوء، وظهور البحث اللساني مع "دي سوسير"، ومن جاء بعده من أتباع، حملوا مشعل أبحاثه، وأقواله، ونظرياته في دراسة اللغة، وهو ما نتج عنه مدارس عديدة، كالمدرسة البنيوية، واللسانيات الوصفية، واللسانيات التاريخية، واللسانيات التوليدية، والتي كانت كُلها تُعنى بدراسة بناء اللغة الداخلي، ودراسة اللغة ووظائفها في ذاتها ولأجل ذاتها، وإنّ ما دعا إليه البحث اللساني – وهو ما أسميناه بالدرس اللساني النقدي الجديد – في هذا السياق، أنّه يجب إعادة الاعتبار إلى اللغة في دراستها، فهي نتاج بشري خالص، وقد جعلت لِتخدم الإنسان في مُختلف أطوار حياته، وفي مُختلف العصور، أي أنّها من الإنسان وإلى الإنسان، وهذا الاعتبار لَن يكون إلا بتقديم دراسات لسانية تُعنى بدراسة قُدرة اللغة في مُختلف عناصرها البنائية، لاسيما "الكلمات" على تفسير مُختلف مناحي الحياة الإنسانية، وذلك بتوليد مناهج لسانية جديدة، تستطيع أن تُقدّم نظريات، وتصورات علمية، قادرة على توظيف اللغة وأدواتها لتفسير حياة الإنسان بمُختلف تفاصيلها، وذلك بالانطلاق من مُختلف إسهاماته، التي تُظهر حياته، وتفاعله في إطار عملية التأثير والتأثر مع تغيّرات حياته، ولا أفضل من الانطلاق من إسهامه في الأعمال الإبداعية، التي تظهر فيها ذاته في علاقتها بعوامل محيطه. ومعلوم أنّ الدرس اللساني يحوي فروعًا عديدة، كالدراسة المعجمية للغة، والدراسة الدلالية للغة...، ويهّمنا هنا الدراسة اللسانية المعجمية الجديدة، التي دعت إلى مُقاربة اللغة من خلال أدواتها، التي هي "الكلمات"، مُقاربة اجتماعية، وفُوق نظريات ومناهج لسانية دلالية جديدة، كنظرية السياق والحقول الدلالية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة السياقية، الدلالة الحقولية، الكلمة الشعرية، الدلالة المعجمية، قصيدة

المواكب.

مقدمة

لقد رأى الدرس اللساني المُستجد، والمواكب لنمو المعارف اللسانية في مختلف حقول وروافد الدراسات اللغوية، ومنذ النصف الثاني من القرن العشرين الماضي، وحسب ما توقفنا عنده فقد تغيرت اهتمامات الدرس والبحث اللسانيين في مقاربتهم اللغة مقاربات عديدة، كالمقاربة الدلالية، وهو ما يعني أنه صارَ لزامًا على الدرس اللساني الجديد أن ينظرَ إلى اللغة نظرة مُغايرةً لنظرته إليها في بدايات نشوء، وظهور البحث اللساني مع "دي سوسير"، ومن جاء بعده من أتباع، حملوا مشعل أبحاثه، وأقواله، ونظرياته في دراسة اللغة، وهو ما نتج عنه مدارس عديدة، كالمدرسة البنيوية، واللسانيات الوصفية، واللسانيات التاريخية، واللسانيات التوليدية، والتي كانت كلها تُعنى بدراسة بناء اللغة الداخلي، ودراسة اللغة ووظائفها في ذاتها ولأجل ذاتها، وإن ما دعا إليه البحث اللساني - وهو ما أسميناه بالدرس اللساني النقدي الجديد - في هذا السياق، أنه يجب إعادة الاعتبار إلى اللغة في دراستها، فهي نتاج بشري خالص، وقد جُعِلت لِيخدم الإنسان في مختلف أطوار حياته، وفي مختلف العصور، أي أنها من الإنسان وإلى الإنسان، وهذا الاعتبار لَن يكون إلا بتقديم دراسات لسانية تُعنى بدراسة قدرة اللغة في مختلف عناصرها البنائية، لاسيما "الكلمات" على تفسير مختلف مناحي الحياة الإنسانية، وذلك بتوليد مناهج لسانية جديدة، تستطيع أن تُقدّم نظرياتٍ، وتصورات علمية، قادرة على توظيف اللغة وأدواتها لتفسير حياة الإنسان بمختلف تفاصيلها، وذلك بالانطلاق من مختلف إسهاماته، التي تُظهر حياته، وتفاعلها في إطار عملية التأثير والتأثر مع تغيرات حياته، ولا أفضل من الانطلاق من إسهامه في الأعمال الإبداعية، التي تظهر فيها ذاته في علاقتها بعوامل محيطه. ومعلوم أن الدرس اللساني يحوي فروعًا عديدة، كالدراسة المعجمية للغة،

تُراهن الدراسات اللسانية والمُعجمية الدلالية - حصراً، منذ بدايات النصف الثاني للقرن العشرين الماضي، حسب آخر ما استجد في موضوعات اشتغالها واهتمامها باللغة ووظائفها، والجدوى من البحث في هذا الحقل العلمي الإنساني - أن البحث اللساني لَن يكون في المستقبل القريب والمنظور، إلا عن البحث في إمكانات اللغة وقدرتها على خدمة البشرية في مختلف مجالات استعمالها الخطابية، وقد ظهر هذا التوجه الجديد بعد أن ظهر كثيرٌ من النقاد اللسانيين، الذين نظروا وأعادوا النظر في أعمال المدرسة اللسانية البنيوية حصراً، التي ركزت في اشتغالها على دراسة اللغة منذ "دي سوسير"، ومختلف ما يمت لها بصلة في الحقل اللساني العام، وغير العام، على أن علم اللسانيات لا يجب أن يكون له اهتمام آخر غير اشتغالها على اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، وهذا خلاف ما رآه النقاد اللسانيون الحداثيون، فقد رأوا

أنّه لا يمكن للدرس اللساني بمختلف روافده اللغوية أن يستمرّ على نظريات، وأبحاث، ومناهج متقدمة في دراسة اللغة أولاً، وليس همّها إلا دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها ثانيًا، ذلك أنّ ما دعت إليه - منذ قِيَامِها، ومُنذُ دُيُوعِ أبحاث اللساني الكبير "فيردينا ند دي سوسير"، الذي يُعدّ محور هذه النظريات، وزعيم المدرسة البنيوية حصراً - قد تحقّقت للغة، ولأدواتها التي هي "الكلمات"، وقد حان الوقت لإخراج الدرس اللغوي من كهفه هذا، الذي انعزل فيه بآرائه، واهتماماته في دراسة اللغة عن باقي العلوم الإنسانية، التي كان من الممكن - لو حصل بينه وبينها اتصال حقيقي - أن يفيد من بعض نتائجها في مجال دراسة الإنسان، وما يتصل به من قضايا اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية، تؤثر في اللغة ذاتها التي تُعدّ محور اهتمام الدرس اللساني، والتي تُعدّ من أفضل بطائق الهوية التي تُعرّف بالإنسان، في مختلف أحواله.

وعلى رغم هذا الطرح اللساني الناقد - الدّاهب إلى ضرورة تجديد الفكر اللساني، بنظرياته، ومناهجه، ورؤاه في دراسة اللغة - فإنه لا يدعو إلى القطيعة الجذرية، والنهائية مع ما قدّمته الدراسات اللسانية السابقة في دراسة اللغة لذاتها، ولأجل ذاتها، إذ هي الأصل الذي يُعوّل عليه في استمرار اللغة قائمةً، والدّفاع عنها، وتعظيم حرمتها بين مختلف العلوم الإنسانية، كما فعل النّحو والصّرف، زمناً طويلاً، ولا زالا يفعّلان ذلك إلى حدّ ما. ولكنّه يرى أنّ الأجدى أن تُدرس اللغة من حيث إمكانات، وقُدرة أدواتها المُعجمية، التي هي "الكلمات" على تفسير، وإضاءة مختلف جوانب الحياة البشرية، خاصةً الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والاقتصادية، ولا يجب أن يتفرد بهذا العمل: علم التّاريخ التحليلي والتحقيقي، الذي يُعوّل على مناهج ورؤى تاريخية محضّة، ولا ينبغي أن يتفرد به - أيضًا - علم الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع....، بل يجب البحث عن روافد أخرى لدراسة الإنسان وكلّ ما يتعلّق به، وباستمراره، وبما يعتوره من تحولات في الزّمان والمكان. ذلك أنّ العلوم الإنسانية كلّها إنّما وُجدت لخدمة البشرية، ولن يكون ذلك إلّا بالبحث في أكثر المجالات المعرفية الإنسانية، التي تنشط فيها اللغة، فتكتسب منها صورها، وتحولها أو استقرارها، مُستجيبةً بذلك لتأثير الإنسان ذاته بمُتغيّرات الحياة، وإنّ أفضل هذه المجالات العلمية - عندنا - ما يُسهم به الإنسان في الخطاب الإبداعي بمختلف روافده، مع التّركيز على أيّها أشدّ تأثيراً في بنية اللغة المعجمية، وتأثيراً في نشاطها الدّلالي، وحضورها المُستمرّ مُتجدّدةً قويّة. وإنّنا لن نجد أفضل من الخطاب الشعري، لإختبار إمكانات أدوات اللغة، التي هي الكلمات في تفسير وإضاءة مختلف جوانب حياة الإنسان، في مختلف الحقب والعصور، والكشف عن ما استجدّ في ردائها المعجمي والدّلالي. يقول،

"تيري إغلتنون": "الشعر هو الكتابة التي تتباهى بكَيانها الماديّ بدلا من طمسه على نحوٍ متواضع، أمام قداسة المعنى، إنّه الكلام الرفيع، والخصب، والمُكثّف".¹

وفي سياق هذا الطرح اللساني الناقد، فقد ظهرت نظريات تُعنى بدراسة إمكانات، وقدرات أدوات اللغة، في تفسير الحياة الإنسانية بِمختلف عناصرها ومجالاتها؛ الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية والذاتية، وإنّ في هذا - أيضًا - سعيًا إلى ضمان استمرار، وتجدد اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، كما دعا بذلك اللسانيون السوسيريون من قَبْلُ. ومن أبرز هذه النظريات، نظرية الحقول الدلالية، ونظرية السياق، ومنهج المعجمية الاجتماعية، وعِلْم الاجتماع اللغوي....، كلّها تسعى إلى الاستفادة من اللغة، كما استفادت اللغة من عناية الدّراسات اللسانية السّابق ذكرها. من أجل هذا رأينا أن نعملَ على استثمار أبرز ما جاءت به هذه النظريات، والحقول المعرفية اللسانية، مُركّزين - خاصّةً - اهتمامنا البحثي، على ما جاءت به نظرية الحقول الدلالية، والسياقية، في تعقّب دلالة الكلمة داخل نسقها الكلّي، الذي هو اللغة، وخلال استعمالها استعمالًا خاصًا، كما هو الشأن في الخطاب الشعري الإبداعي، فجاء عنوان البحث كما يلي: "سلطة الدلالة السياقية والحقولية للكلمة الشعرية في الشعر العربي: مقارنة معجمية في قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران.

من هنا يمكننا أن نتساءل: كيف تتكون صورة الدلالة السياقية والحقولية للكلمة الشعرية؟ وكيف تفرض سلطتها على الدلالة المعجمية في سياق الخطاب الشعري؟

• قصيدة "المواكب" لجبران خليل

نُعدّ قصيدة المواكب لجبران واحدةً من أَيْنَع القصائد والتّجارب الشعرية، التي تُسجّل حقبةً مهمّة من حَقَب نموّ الشعر العربي وتطوّره وانتقاله بِمختلف عناصره؛ الشكلية والموضوعية، والصّياغية الدلالية من مرحلة الشعرية التّراثية إلى مرحلة الشعرية العربية التّحرّرية، ونعني هنا حقبة الشعرية العربية الحديثة، التي كانت جماعة "الرّابطة القلمية الرّومانسية" - التي تنتمي إليها هذه القصيدة - زعيمة الحداثة العربية إلى ذلك الوقت، بالدّيار الأمريكيّة الشّمالية، والتي قادها صاحب هذه القصيدة، وهو جبران خليل جبران إلى جانب كلّ من "ميخائل نعيمة"، و"نسيب عريضة"، و"إليّا أبي ماضي"، وهؤلاء الثّلة المُباركة، كما جمعتهم مدرسة واحدة، ومذهبٌ واحدٌ، هو "المذهب الرّوماني" الذي رأوا فيه الخلاص من الجمود الدّاتي، والدّوقي، مُنصهرين بذلك في ما دعا إليه المذهب الرّوماني الغربي، من تحرّر في مُختلف

¹ - تيري إغلتنون: كيف نقرأ القصيدة، ترجمة: د. باسل المسالم، ط.1، س. 2018م، دار التكوين للتأليف والنشر، ص: 77

مناحي الحياة، والذوق، والرؤية إلى العالم، والحياة، والإبداع، فإنهم جمعتهم طموحات واحدة وموحدة، هي التعبير عن تجاربهم الواقعية، والنفسية، والانتصار إلى الذات الحرة من خلال التعبير عنها بالأدب الشعري العربي، هذه الوسيلة التي آمنوا بأنها قادرة على تشكيل رؤاه إلى الذات والواقع، لكن ليس على النهج السلفي، والتراثي في صياغة الموضوعات الشعرية، والتعبير عن الذات والتجربة الشعريتين بما تحمله من هموم، وطموحات، وأحلام، وفلسفة تُجاه الحياة، والإنسان، تختبئ بهذا الرّخم كلّ وراء الدّود عن الجماعة، والنفح عنها...، ولكن من خلال عكس كلّ هذه العناصر عكسًا يختلف عما سبقه، ويكون في توهج يغترف به للمذهب الرومانسي بالفضل في إعادة تشكيله تشكيل وعي، وذوق، ورؤية أمته، وبني جلدته، يقول، د.محمد مصطفى هدارة: "ولما كانت (الكلاسيكية) تقوم أساسًا على التقليد والاتباع، اتخذت الرومانسية سبيل الإبداع؛ لأنه ينبع من مبدئها الأساسي، وهو "الحرية"؛ فالنفس الرومانسية تؤمن إيمانًا قويًا بالانطلاق، والتحرر، والتنفيس عن الرغبات المكبوتة في العقل الباطن، ومن هنا كان للخيال دور كبير في المذهب الرومانسي؛ لأن الشاعر يعتمد عليه اعتمادًا كبيرًا في ممارسة حرّيته، وارتداد آفاق جديدة، يُخلق فيها"¹.

وبهذه المرجعية الفكرية، والرؤية المغايرة إلى الذات، والطموح إلى اجتياح عقبات الواقع، وما يفرضه من إقصاء للذات الشاعر، فقد رأى شعراء الرومانسية العربية أنه لابد من تجديد القلب الموضوعي، والمُعجمي للشعر العربي مع الإبقاء على شيء من قلبه الشكلي، الذي يجسد أصالة الانتماء، والهوية، والوفاء للأصل من غير أن يكون عائقًا في ما يطمحون إليه، ومن ذلك إعادة صياغة الذات، والوجدان، والواقع المعيش صياغة مختلفة تمامًا الاختلاف عن صياغتها في الشعر العربي التراثي قبل الإحيائي.

ولقد حاول الشاعر العربي الرومانسي أن يجعل لغته الشعرية لغة أكثر انفتاحًا على واقع لا تشوبه حواجز الماضي، وواقع الحاضر المدمر، والحقائق المزيّفة التي تضيق أفق الأحلام، والطموحات الذاتية للحرية، واقع لا يبلغ إلا بالتحليق على أجنحة الخيال المُعاد صياغته، والوجدان الفياض بالآمال الواسعة، وبذلك ينقل هؤلاء الوعي والذوق الأدبي العربيين، من خلال البحث عن الحرية وحقيقة المطلقتين في كلّ شيء، وإن إعادة النظر في حقيقة الأشياء التي استعبدت فكر الإنسان، هو الكفيل بتحرير الفكر والذوق العربيين؛ فالشاعر الحر يرى أن الإنسان كيان حرّ في أصله، ينطلق مع روح الحرية التي وهبت له منذ الولادة، ليعيش مع الأحلام والآمال الموهودة، والمفقودة في واقع مُحطّم بالمتناقضات، وتقديس الانتماء، والانصهار في الجماعة، وهذا الأمر هو الذي نجده في اللغة الشعرية لجبران خليل جبران، كما

¹. محمد مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت - لبنان، ط.1، س. 1990م - 1410هـ، ص: 25 - 26

سنرى في قصيدته "المواكب". يقول، د. "نجيب الورقي": "لدى الرومانسيين أصبح للشعر مفهوم أكثر شمولية؛ فهو تعبير جمالي، مؤثر مبيّ على تصوّر شامل للوجود، وعلاقاته، ناجم عن خيال واسع بلا حدود، كما يتسم ذلك التّصوّر بتجاوز سطوح الوجود إلى أعماق النّفس، والكائنات، والأشياء، ذلك فإنّ الرومانسي يغوص بذاته إلى أعماق الوجود، أو يُغيص الوجود في أعماق الذات الشاعرة، وذات الإنسان عمومًا."¹

لقد أسهمت هذه الرؤية إلى الذات الفردية، وإلى الواقع، وإلى الحياة - لدى شعراء الرابطة القلمية، خاصة جبران خليل جبران، ونُعيمة - إلى تجديد معجم الشعر العربي، وإثراء جانبه الدلالي بفضل فلسفتهم عن الوجدان (العاطفة)، والذات الفردية، في ظلّ الأزمة الإنسانية، والاجتماعية في عصرهم، من خلال ابتداء ألفاظ جديدة تناسب دقّتهم الشعورية، والذاتية، وفلسفتهم الروحية، كما قاموا بتوسيع مفهوم الخيال، والجمال، والصورة الفنية، فأدّى ذلك إلى تجديد قالب الأسلوب والفنّ للقصيدة العربية بفضل، الذي سيؤدّي إلى تجديد البناء المعجمي والدلالي للشعر العربي الرومانسي، بالإضافة إلى ما تُضيفه التجربة الشعرية لكلّ شاعر إلى هذا التجديد والتوسيع من تغيير في أغراض الشعر العربي المعروفة، لكونها ليست مركز اهتمام الشاعر في ذاتها، وكلّ ذلك في سبيل تحقيق ما آمنوا به من حقائق فوق وخارج المألوف الساذج، وهو الداعي إلى استحكام سلطة الدلالة السياقية، والحقلية لأدوات اللغة الشعرية (الكلمات) في أشعار هذه المدرسة، على الدلالة المعجمية والاجتماعية التقليدية، وفي هذا المعنى يقول: د. إبراهيم محمد منصور: "وكما يقول، "موريس بورا": "وربما إنهم يرون أنّ الخيال إنّما يكشف نوعًا من الحقيقة، وهم يرون أنه حين ينشط يرى أشياء يعنى العقل العادي عن رؤيتها، وأنه يتصل اتصالًا وثيقًا بالبصيرة أو الشعور، أو الحدس، وموقف الرومانتيكيين هذا من العقل، ومن الخيال يجعلهم في صفٍّ واحد مع المتصوّفة."²

إنّ محاولتنا مقارنة دلالة الكلمة الشعرية مقارنة سياقية، وأخرى حقلية، راجع إلى هدفين أساسيين لابدّ من تسطيرهما، والتذكير بهما، ونبغى تحقّقهما، كما ذهب بذلك الدراسات المعجمية الدلالية الحديثة التي تُقارب الظاهرة الدلالية للغة داخل خطاب من الخطابات في ضوء الشعب العلائقي الوظيفي الذي تُشكّله الروافد المختلفة، والتي تتصل بها أفعال أو ممارسة اللغة؛ كالمجتمع، والإنسان، وكذلك في علاقتها المعرفية بمختلف النظريات اللسانية والدلالية الحديثة، الأول: أنّنا نسعى إلى إثبات الوجه

¹ - نجيب الورقي: انزياحات الحداثة الرومانسية لقصيدة عمود الشعر، مجلة "جسور المعرفة"، ع. 14، س. 2017م، كلية الآداب، جامعة دمار اليمنية، ص: 99 - 100

² - إبراهيم محمد منصور: الشعر والتّصوّف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ط. س. 1945م - 1995م، ص: 48

الاجتماعي للغة من خلال أدواتها التي هي "الكلمات" في الخطاب الشعري، وهي تتشكل تشكلات دلالية عديدة، منها ما هو خاص بذات الشاعر في علاقته بمجتمعه، ومنها ما هو خاص بأحوال، وقضايا، وهموم المجتمع، خارج الدلالة المعجمية (المركزية)، وذلك بمقاربتها في ضوء قرائن لسانية دلالية حديثة؛ كالسياق والحقول الدلالية. الثاني: أننا نبتغي الوقوف عند مدى تأثير تجربة الشاعر في توسيع، وتنويع معجم اللغة التي يستعملها وإثراء دلالات أدواتها التي هي الكلمات في الاستعمال الشعري، هذه التجربة التي ما تفتأ أن تتحول إلى تجربة المجتمع وصورته التي تعكسها ذات الشاعر، وبذلك نؤكد أن الخطاب الشعري يعدّ حقلاً لسانياً مناسباً لمقاربة دلالة الكلمة، ومعجم اللغة عامة مقاربات لسانية متعددة، ما دام وسطاً خصباً يكسب اللغة تميزها، وحياتها من جديد. يقول، د. عبد الرحمان الشولي: "اللغة عامة كي تكون لغة، لابد لها أن تتحدث عن شيء ما، يجب أن تقول شيئاً ما عن شيء ما، أي لابد لألفاظها من أن تُشير إلى غير ذاتها، على اللغة أن تدلّ على العالم، فإن كل كلمة حيّة تكون مُتجذرة معانيها في حقائق وعينا بما هو خارج هذا الوعي، لأن كل اسم نلفظه يُعيد وعينا إلى ما يدلّ عليه في الخارج، سبق لنا أن عرّفناه."¹

ومن أجل الوقوف على هذه الحقيقة، فإننا سنحاول أن نقارب دلالة الكلمة الشعرية مقارنة سياقية وأخرى حقولية، سعياً منا إلى تأكيد مدى تحقق سلطة الدلالاتين السياقية والحقولية على الدلالة المعجمية (المركزية) للكلمة، والتي يرى منها الداليون أنها هي نفسها الدلالة الاجتماعية، لولا أنها دلالة عامة، وهو الذي يجعلها في مفارقة كبيرة بينها وبين أنواع أخرى من الدلالة التخصيصية، كالدلالة السياقية والحقولية، التي تحظى بعناية الباحث (المُرسل، المُخاطب)، إذ يسعى إلى التعبير عن نوعين من الدلالة: دلالة ذاتية؛ عاطفية، جمالية، وأخرى اجتماعية في علاقته بها، وهو ما لا تستطيعه دلالة الكلمة المعجمية. وبهذا، فإن الفضاء الشعري - بزخمه الجمالي، والأسلوبي، واللغوي الذي يتسع ولا يضيق، بالإضافة إلى ما تفرضه تجربة الشاعر من نوع ما على البناء المعجمي الشعري الذي يُشكل بها موضوعه المترامي الأطراف والأهداف - يفرض على الكلمة عناصره السابقة، فيجعلها تتفتق حمولة دلالية لم تكن لتكتسبها في أي خطاب إبداعي آخر إلا الشعر، إن جاز وصح التعبير وكما يقول، "هيربرت ريد": "ويمكن القول بدقة، إن الشعر خاصية خارقة، تحول مفاجئ تتخذه الكلمات، تحت تأثير خاص، وليس في مقدورنا أن نحدّد هذه الخاصية أكثر ممّا في مقدورنا أن نحدّد حالة من الجمال."²

1 - عبد الرحمان الشولي: فلسفة المعنى في الفكر واللغة والمنطق: نظرة إلى جدلية الدوال والمدلولات، ط. 1، ص. 2016م، 1434هـ، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان، ص: 72

2 - هيربرت ريد: طبيعة الشعر، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب، مراجعة: د. عمر شيخ الشّاب، طبعة منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق، ص. 1997م، ص: 39 - 40

• الدلالة السياقية: مفهومها وأنواعها في قصيدة "المواكب"

لقد ظهرت العناية اللسانية بالدلالة السياقية للكلمة في سياق البحث الدلالي القديم، وازداد الاهتمام به في الدراسات اللسانية المعجمية والدلالية الحديثة، سواء في الفكرين الغربي أم العربي الإسلامي، وذلك بعد تغير توجه الدارسين الحداثيين إلى دراسة اللغة، لاسيما أدواتها التي هي "الكلمات"، وذلك في إطار التوليد والتصنيف الدلاليين، فقد رأى الدارسون اللغويون العرب - منذ نشأت الدراسات الفقهية والقرآنية والبلاغية، التي تُعنى باستنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - أن الكلمة تنطوي على أكثر من دلالة حرفية ومعجمية (مركزية)، فظهرت العناية بالأشباه والنظائر، وقضية اللفظ والمعنى، والترادف والأضداد، والحقيقة والمجاز...، وما تنطوي عليه "الكلمات" في خطاب ما من دلالات جديدة؛ كالخطاب القرآني، والحديث الشريف، والخطاب الشعري الإبداعي، كلها تعني شيئاً واحداً، وهو أن الكلمة لابد أن تتلبس نوعاً جديداً أو أنواعاً مُغيرةً من الدلالة أو الدلالات التي تُوافق "المقام" التخاطبي الذي ترد فيه، ومن هنا كان الاهتمام إلى ما يُسمى بالدلالة السياقية، ولكن هذا المفهوم - أعني مفهوم السياق - لم يبرز بهذا المصطلح إلا مع الدراسات اللسانية الدلالية واللغوية الحديثة في الفكر الغربي، بينما كان معروفاً في بحثنا وتراثنا اللغويين، بمختلف مشاربه السابق ذكرها، بـ (المقام)، أو (مقتضى الحال)، وهذا مشهور في قول البلاغيين العرب: "لكلّ مقام مقال"¹، وفي هذا يقول، د. هادي نهر: "ويمكننا بيسر أن نستخلص من خلال تراث اللغويين، والنقاد، والبلاغيين، والمفسرين العرب القدامى، طبيعة وعي هؤلاء العلماء (للسياق)، وتفطنهم الدقيق إليه، أو ما يُطلقون عليه (مقتضى الحال)، أو (المقام)، بما يتفق في كثير من أوجهه ومُعطياته مع ملاحظات اللسانيين المعاصرين. وإذا أردنا أن نتيّن موقفَ علمائنا القدامى من السياق، ودوره في بيان الدلالة، فلا بُد من النظر في وجهات النظر المتعددة لهؤلاء العلماء بتعدد مشاربهم المعرفية، واهتماماتهم العلمية، هذه المشارب والاهتمامات، التي تصبّ - على الرغم من تعددها - في مصبّ واحد، يُؤكّد اهتداء هؤلاء العلماء إلى السياق، وأهميته في بيان الدلالة، بما لم يزد عليه المعاصرون إلا ترتيباً، وتطبيقاً، أما الإطار العام للسياق وملاساته، ودوره في تحديد الدلالة على وجه الدقة، فللقدامى العرب فضلُ السبق، والريادة."²

¹ - أنظر: جلي خليل: الكلمة: دراسة لغوية معجمية، ط. 1، س. 1998م، دار المعرفة الجامعية، ص: 155
² - هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط. 1، س. 2007م - 1427هـ، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ص: 266 - 268

- أولاً: مفهوم الدلالة السياقية:

تستمدّ الدلالة السياقية مفهومها من مفهوم السياق، الذي يعني، حسب تعريف، د. عبد القادر سلاحي: "مجموع العوامل، والظروف الاجتماعية، وخاصة الثقافية، التي أحاطت وتحيط بالمتكلم والسامع، لذلك فهي تُنعت بعوامل، وظروف موقفية، كما يُقال: سياق الموقف".¹ وفي عبارة أكثر تحديداً، نقول: **السياق** هو: مجموع الأحوال اللغوية، والعوامل، والمقاصد الذاتية، والاجتماعية، والثقافية، التي تحمّل المتكلم على تجريد الكلمة، أو تعبيره من دلالتها المعجمية العامة والحرفية، وإكسابها دلالات إضافية أو جديدة تتوافق ونوع السياق الذي يبتغي التعبير عنه أو فيه.

وبهذا يكون مفهوم **الدلالة السياقية** هو: مجموع المعاني الخاصة، أو الجديدة، أو الإضافية التي تكتسبها الكلمة أو العبارة عند استعمالها، حسب نوع من أنواع السياق، وفي سياق تخاطبي ما، وهي المعاني البائدة عن معانيها المعجمية العامة، والحرفية المتواضع عليها، والثابتة. وفي هذا المعنى يقول، د. جورج ماطوري: "إنّ الكلمة لا توجد داخل شعورنا مُنْعَزَلَةً، إنّها جزء من سياق، ومن جملة، يقومان بتحديدتها جزئياً، وهي مُرتبطة بكلمات أخرى تُشابهها في الصيغة أو الصوت، أو المعنى".²

- ثانياً: أنواع الدلالة السياقية في قصيدة "المواكب"

تكتسب الدلالة السياقية تنوعها من تنوع السياق نفسه، وقد صنّفه اللغويون القدامى والحدائيون أصنافاً كثيرة، حسب ما يُراد من دلالات الكلمات، إلّا أن هناك تصنيفاً مشهوراً لأنواع السياق، وهو التصنيف الرباعي، الذي يذكره، د. عبد القادر سلاحي، قائلاً: "فَتَعَدّد معاني اللفظ الواحد بتعدد سياقاتها، ووُروده، وهو ما أُوحي إلى مُتَبَيّن المنهج السياقي إلى التعبير عن وجهة نظرهم، انطلاقاً من أنّ المعنى لا ينكشف إلّا من تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مُختلفة، وذلك بقولهم: إنّ مُعظّم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها، أو تحديدها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى، التي تقع مجاورة لها، وفي ذلك تتابع للكلام وأسلوبه، الذي يجري عليه في دلالات سياقية، وتتنوع شُعْبُهُ؛ كالتالي، حدّدت ملامحها مدرسة (لندن) بريادة "فيرث – Firth"، وقد اقترح "ك.أمير – K. Ammer"، أن تكون في أربع شُعَب، تشمل: السياق اللغوي، والسياق العاطفي، والسياق الثقافي، و**سياق الموقف**".³

1 - عبد القادر سلاحي: علم الدلالة في المُعْجَم العربي، ط. 1، س. 2007م، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عُمان، ص: 100

2 - جورج ماطوري: منهج المعجمية، طبعة مطبعة المعارف الجديدة – الرباط – المغرب، س. 1970م، ترجمة: د. عبد العالي الودغيري، ص: 106

3 - عبد القادر سلاحي: المرجع السابق، ص: 101

وعلى هذا التقسيم سنحدّد أنواع الدلالة السياقية في قصيدة "المواكب"، على النحو الآتي:

السياق اللغوي	الكلمات	دلالاتها المركزية	دلالتها السياقية
هو البناء التركيبي الذي يُشكّله انتظام الكلمات، كما أنه يعني تلك العلاقة المستفادة بين الدال (الكلمة) ومدلولها (الشيء الذي تُشير إليه في الواقع)، والتي تُؤلّد لنا معنىً جديداً داخل نظام الجملة، له حدود واضحة، وسماتٌ غير قابلة للتعدّد والاحتمال، أو الاشتراك والتعميم.	قُطعان (قطيع)	جماعة من الحيوانات	الضعف، المعاناة، الدّلة، الوضاعة...
	آلات (آلة)	أداة من حديد أو غيره	الضعف، الخضوع...
	عَلَمٌ	الشّاهد - الجبل - الراية	الرفعة، العظمة، المهابة...
	الغابات	مكان فسيح به شجر، ونبات، وحيوان	الحُرّيّة، النّظام، الصّفاء...
	الشّتاء	فصل من فصول السّنة	الموت، العُبوس، الجُمود...
	الربيع	فصل من فصول السّنة	الحياة، النّشاط، الحركة، البهجة...
	أنين	صوت (صوت الألم)	العزف، الدّكرى، الراحة، الاسترخاء..
	نوم	ضدّ اليقظة	الغفلة، فُقدان الإرادة
	أحلام	ما يراه النّائم	أوهام، عبث، ما لا يتحقّق
	نسيم	الريح الطيّبة	الصّفاء، النّقاء، الرّاحة، الانتعاش، التفاؤل
	سُموم (سُم)	مادة قاتلة (مواد قاتلة)	الأوجاع، الهموم، الشّقاء، الخوف
	الرّعاة (الراعي)	سائس الدّواب وراعيها	المُتسلّطون، المُتجبرّون، الهاكّون...
السياق العاطفي	الكلمات	دلالتها المركزية	دلالتها السياقية
هو الجانب أو الحال، أو المستوى الشعوري (النّفسي) الذي يُعبّر فيه أو به صاحبه (المتكلّم) عن شعوره، أو إيّاه، يريد به تبیین درجة، أو قوّة، و ضغط، أو	جُبْنٌ شُمُوحٌ	خوفٌ، تهيّبٌ، تراجع استعلاء، ترفع، رفعة..	المبالغة في وصف الحقارة والضعف وصف القوّة، والصّمود، والشّهامة...
	لطيف لَيِّنٌ	لَيِّنٌ، هَيِّنٌ، مسالِمٌ... هَيِّنٌ، لطيفٌ، رقيقٌ...	شِدّة الضّعف، والهوان، والوضاعة...
	حُسْنٌ افْتَتَانٌ	جمال، بهاء، وضاعة... استحسان، انجذاب...	وصف الأصالة، والتّميّز وصف التّصنّع، والتّكلف، والغنج...

ضعف الشيء المتكلم عنه؛ تأكيداً أو مبالغة في وصفه.	نفع ولا ضرر	الخير وضده	المبالغة والتأكيد في اجتماع المتضادين
	لازهر ولا ثمر	النبت وما يأتي منه	المبالغة والتأكيد بحصول نتيجة واحدة
	الحُبُّ الغرام	شُعور الرضا، التعلق شُعور بشدة التعلق	المبالغة في وصف النفاق والخدعة تأكيد النفاق، والخدعة، واللؤم...
	جميل مليح	حسن، أنيق، رفيع... جميل، أنيق، رفيع..	تأكيد الزيف، والتكلف، والمبالغة في إثبات زوال ما هو غير روجي...
	يبغي يرجو	يُريد، يتعدى، يعتدي.. يُريد، يبتغي، يصبو...	المبالغة في تقبيح فعل الذي يهيم به الحب إلى أن يُهمل نفسه...
	يحلو يُعتَبَر	يطيب تُؤخذ منه العبرة، آية..	إثبات القبح، وغاية الحب الزائف الذي غايته البدن...
	نار ونور	حرارة، شُعلة، وضوء	المبالغة وتأكيد صدق التعافي والاهتداء
السياق الثقافي	الكلمات أو العبارة	دلالاتها المركزية	دلالاتها السياقية
هو التركيب اللغوي الذي يَدلّ على أو يُشير فيه المتكلم إلى معتقدات، أو أعرافَ يشترك فيها أفراد البيئة اللغوية الواحدة، وإلى المعلومات التاريخية، والسياسية، والدينية...، ويكون في العبارات أكثر من الألفاظ...	الناس عبيد	الناس تبع	الخضوع، غيَاب الإرادة، الدّل، الاستسلام
	عالم علم	عالم مشهور، متفوق	الوقار، الاحترام، الرّفعة، المنزلة الحسنة
	السيد الوقر	الموقر، المعظم، الكريم	الزّيه، التّقي، الورع، حسن السّمة...
	يرعى العقول	يقودها، يسوسها	أنسُ العقول، ملهمها، مُسليها، مُبدد همومها
	رغد العيش	طيب العيش	ما تؤمّله النفس وتتشفو إليه من سعادة ورخاء، وتتوهمه أصلاً ثابتاً
	غيوم النفس	الغيم علامة المطر	هموم وأحزان وكُدرة النفس
	التخدير ثدي	ذهاب الوعي، سلب الإرادة،	الإدمان، منبَع السّعادة...
	حليب للأنام	ما يُحتلب من الصّرع أو الثدي	الاستواء في الفطرة والإدمان، والوهم
	الدّين	رمز العقيدة، خلاف الإلحاد	الإيمان، سبب النّجاة، والحصول على الموعود به

طه، المسيح	النبى، والتبوءة، لقب	القداسة، الحقيقة
سارق الزهر	قاطفه خلسة	الجبان، الخائن، الخسيس
سارق الحقل	لِصّ النّعم الوافرة	الشّجاع، الباسل، الشّهم
الصّفصاف	شّجر وارف الأغصان، وكثيف الورق	مكان الاستغلال، والاستراحة والنّزهة، والاطمئنان
بنو الثعالب	ذرية الثعلب	الجبنة، الضّعفاء، اللّصوص
الكلمات أو العبارة	دلالته المركزية	دلالته السياقية
الغناء عزم النفوس		
أخو الأحلام	صاحب الهواجس، والوساوس...	صاحب طوح كبير، صاحب
مُنقَرَدًا	وحيّدًا	متميّز، له خصوصية ليست لغيره
أنين النّاي	صوته ذو الأثر المُحزن	صدى عزفه، أثر عزفه...
هو النّبي وبُرد الغد	المُبشّر، النّذير...	المُستقبل، المُخلّص، الأمل...
الشمس أطلّت	ظَهَرَتْ، أشرقَتْ	حُلُول يوم جديد، حياة جديدة، ذهاب الماضي وحُلُول المأمول...
أكثُر الحُب كالراح	الإكثار من الحُب كالإكثار من الخمر	الاحتقار، وتبخيس نوع الحُب الذي يُمجده الناس
...شَبَحَ يُرْجى	ما لا يُرى، ما يُتَوَهّم	إنتقاد وتبخيس الوهم، وما لا حقيقة له
تلاشتْ	انقضتْ، تبدّدتْ...	خيبة الأمل في عودة الشّيء
يُبطي ويعتكر	تقلّ حركته، وتتراجع، ويتغيّر لونه	الضعف، الهوان
يَسْتَدْمِي مَحَاجره	يُدْمِي عَيْنِيه،	ذَمّ مَنْ يُجهد نَفْسَه على شيء لا يَسْتَحِق ذلك

"أنظر (ي) عبد
القادر سلامي
الدلالة في
المعجم العربي"

سياق المقام

مجموع الظروف
التي تُحيط
بالكلام، وجميع
القرائن الحالية
التي تُصبغُ
الخطاب
ودلالته، بصبغة
خاصة.

د. عبد القادر
سلامي، المرجع
السابق.

• الدلالة الحقلية: مفهومها وأنواعها في قصيدة المواكب

- أولاً: مفهوم الدلالة الحقلية:

تستمدّ الدلالة الحقلية مفهومها من مفهوم الحقل الدلالي، الذي هو نتاج نظرية الحقول الدلالية، والذي يعني، حسب تعريف: د. محمد محمد يونس علي: "مجموع الكلمات المُتقاربة في معانيها، يجمعها

صنّف عامّ مُشترَك بينها¹. وهو ما يعني إذًا: أنّ الدّلالة الحقولية هي: ما يُستفاد من معاني الكلمات (الألفاظ) المُتقاربة في دلالتها في علاقتها بالكلمة الأم التي هي حقلها الدلالي العامّ، في سياقٍ تخاطبيٍّ ما. وإلى هذا يُشير "د. أحمد مختار عُمر" بقوله: "يجب دراسة العلاقات بين المُفردات داخل الحقل، أو الموضوع الفرعي، ولهذا يُعرّف (Lyons) معنى الكلمة بأنه مُحصّلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في داخل الحقل المُعجمي".²

وبهذا يُمكننا تصنيف الدلالة الحقولية للكلمة في قصيدة "المواكب" لجبران خليل جبران، حسب نوع الحقول الدلالية التي يُوظفها.

- ثانيًا: أنواع الدّلالة الحقولية في قصيدة "المواكب"

لقد ظهرت العناية اللسانية المعجمية والدلالية بالدّلالة الحقولية للكلمة، خلال العقدين الثالث، والرّابع من القرن العشرين، وذلك على يد اللغويين الألمان، ك: "تريير، وإبسن"، وقد سار على نهج آرائهما في مُقاربة دلالة الكلمة أو ما يُسمّى بأدوات اللغة، مُقاربة دلالية اجتماعية للغة – عالم الاجتماعي اللغوي: جورج ماطوري، هذا العالم الذي دعا بفضل منهجه "المعجمية الاجتماعية، أو المعجمية الحقولية" إلى ضرورة إقامة منهج أو مناهج جديدة تُدرسُ اللّغة في علاقتها بالإنسان، والمجتمع، والحياة، دراسةً خاصّة، وليس حبسها في حُدود ما دعت إليه أبحاث اللساني الكبير "فيردينا ند دي سوسير"، وهي: دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها، أي دراسة بنيوية وصفية وتاريخية. يقول د. عبد العالي الودغري: "وكما أطلّق ما طوري على مُعجميته هذه اسم "المعجمية الاجتماعية"، أمكنه – أيضًا – أن يُسمّيها باسم آخر؛ وأعني به (مُعجمية الحقول، أو المعجمية الحقولية)، لأنّها قائمة عنده على منهج تصنيف المُفردات إلى مجموعة حقول، حسب التّصورات والمفاهيم الخاصّة، بكلّ مُجتمع على حدة، وفي كلّ مرحلة تاريخية مُعيّنة. وفكرة الحقول هذه لم يَكُن ماطوري في الحقيقة أوّل من نادى بها أو طبّقها في دراسته، فهو نفسه يعترف بأنّها فكرة دعا إليها علماء ألمان، أمثال: "إبسن، وتريير"، وغيرهما، خلال العقدين: الثالث والرّابع من هذا القرن، وعَمِلوا على الانتقال بالدراسة اللغوية من البحث في تاريخ الكلمة إلى البحث في مجالات استعمالها".³

إنّ التّعّدّد الدلالي للكلمة، وهي مُتقلّبة في مُختلف أنواع الخطاب الإنساني، يفرض عليها الانتقال من نسيج دلالي ثابت؛ يصطلح عليه اللسانيّون المعجميّون والدّاليون بالدّلالة المركزية للكلمة، إلى نسيج

¹ - محمد محمد يونس علي: مُقدّمة في علميّ الدّلالة والتخاطب، ط، 1، ن س. 2004م، دار الكتاب الجديد المُتّحدة – بيروت، لبنان، ص: 33

² - أحمد مختار عُمر: علم الدلالة، ط. 5، س. 1998م، عالم الكُتب – القاهرة، مصر، ص: 80

³ - عبد العالي الودغري: منهج المعجمية لـ جورج ماطوري: المرجع السابق، ص: 06

مُغاير له، يُوافق ما يبتغي المُخاطب تبليغَه في خطابِه (رسالته)، وَفَق ظروف وأحوال معينة، قد تكون ذاتية، وقد تكون اجتماعية، وقد يجتمعان معاً، لِيُشكِّلَا حقولاً دلالية مختلفة حسب تجربة المُخاطب، والعوامل الحاملة له على إلباس الكلمة أنواعاً من الدلالات التي يفرض عليها أن توافق مقصده، وهذا النوع من الدلالات هو الذي يصطلح عليه اللسانيون الدلاليون والمعجميون بالدلالة السياقية، والحقولية. من هنا نفترض أن الدلالة السياقية والحقولية تفرضان سلطة خاصة على الحضور الدلالي للكلمة في صورتها المركزية، ذلك أن المخاطب لا يسعى إلى تبليغ خطاب تكون دلالات لغته متواضعا عليها، ويعيها المُتلقي، ولكنه يُحاول أن يُعبّر عن شيء لا يعلم له به.

وحتى نَقف على نوع الحقول الدلالية التي تولدت عن دلالة الكلمات في قصيدة "المواكب"، وجب علينا أن نعلم أولاً أن اللغويين الدلاليين صَنَّفُوا الحقول الدلالية تصنيفين كبيرين: حقول دلالية عامة، وهي كالآتي: حقل الكائنات الحية وغير الحية، وحقل الأحداث، وحقل المُجرّدات، وحقل العلاقات. وحقول دلالية خاصة: وهي الحقول الدلالية التي يُولِّدها صاحب الخطاب في خطابِه، وَفَق الموضوعات التي يبتغي التعبير عنها، وكونها خاصّة، فذلك لأنه قد تجمع عناصر من كلّ حقلٍ من الحقول السابقة، لِتُشكِّلَ حَقلاً واحداً، نتيجة العلاقة التي تُشكِّلها مُفردات الحقول فيما بينها، ولا يعني هذا التصنيف للحقول الدلالية أنه يصلح القياس عليه في جميع أنواع الخطابات، وذلك راجع إلى اختلاف البناء المعجمي اللغوي لكل خطاب، ففي الخطاب الشعر - مثلاً - قد يختلف عدد ونوع الحقول الدلالية التي يستعملها شاعر ما عن عدد ونوع الحقول الدلالية التي يستعملها شاعر آخر، وهذا راجع - أيضاً - إلى نوع التجربة الشعرية، التي يُعبّر عنها الشاعر، بالإضافة إلى تميّز اللغة الشعرية عن غيرها من لغات الخطابات الأخرى. وسنرى هذا عند مقاربتنا للحقول الدلالية من خلال قصيدة "المواكب" بين أيدينا، مقارنة تصنيفية ودلالية، والذي يَهْمُنَا هنا أن فضاء اللغة ما دامت مُتداولة (مُستعملة) تداولاً مُتنوعاً، فإن ذلك يجعلها تكتسب خصائص معجمية ودلالية تُبقيها حيّة، تَرّة صالحة للمقارنة من ناحية بحثية، يقول، د. منقور عبد الجليل: "إنّ اللغة الرّحبة التي يجدُ فيها أهلها سعة في اختيار الكلام المناسب، وخاصة المشتغلين في حقل الإبداع والتأليف، يكون ذلك عاملاً لتجويد، وإغناء قاموسها المعجمي، بالتجديد في عناصره، وإبداع طرق أخرى تُبقي اللغة معها مُحافضة على مرونتها، وسعة نظامها".¹

¹ - منقور عبد الجليل: علم الدلالة: أصوله ومباجته في التراث العربي - دراسة، ط. 1، س. 2001م، منشورات اتحاد الكتاب - دمشق، سورية، ص: 198

والكلمة إلى هذا، تحظى بتميزها الدلالي؛ المركزي، أو السياقي، أو الحقلي بسبب عاملين مهمين: الأول: حسب نوع التجربة الذاتية أو الاجتماعية أو هما معاً، التي يريد (الكاتب) التعبير عنها في خطابه، والتجارب - لاشك - تختلف من كاتب لآخر؛ شاعراً كان أم ناثراً، أم غيرهما، وكلما كانت التجربة الإبداعية أو الخطابية عموماً قوية نظراً للعوامل التي شككتها أو أججتها، فأدت إلى التعبير عنها، حظيت اللغة أولاً، والكلمات ثانياً، التي هي أدواتها بتميزها الدلالي، والتميز يعني اختلافها عن غيرها في خطاب مشابه أو مخالف للخطاب الذي ترد فيه. والثاني: أنها تحظى بتميزها الدلالي في الأصناف الدلالية السابقة، بالنظر إلى نوع الخطاب الذي ترد فيه، ذلك أن دلالات الكلمة مستعملة في نوع من أنواع الخطاب النثري، ليست هي دلالات الكلمة في استعمال الكتابة الشعرية، ومعلوم ما لي اللغة الشعرية، أو داخل الخطاب الشعري من خصائص بائدة عن خصائصها في الكتابة النثرية، منها ما هو أسلوب جمالي، ومنها ما هو أسلوب ذاتي، ومنها ما له علاقة بنوع القوالب الدلالية التي يصوغها عليها الشاعر، فاللغة الشعرية بهذا غير تقريرية مباشرة للمعاني، تُفهم من أول قراءة كما هو شأن اللغة في نوع من أنواع الخطاب النثري، لاسيما النثر الفني. يقول، د. جورج ما طوري: "إن الكلمة ليست فكرًا فقط، بل هي فنٌ أيضًا، واللغة تكفي وحدها - وهذا ما لم يكن معترفًا لها به فيما يقول "برادين" - لتقوم في الشعر أو النثر الفني بالتصوير الرمزي الجمالي، الذي لا يقل أهمية عن التصوير الرمزي للموسيقى، أو الرسم، ويكون له التأثير نفسه".¹ ويقول أيضًا: "إن الكلمة لا توجد داخل شعورنا منعزلة، إنها جزء من سياق، ومن جملة، يقومان بتحديد جُزئياً، وهي - أيضًا - مرتبطة بكلمات أخرى تشابهها في الصيغة، أو الصوت، أو المعنى".²

ويمكننا تقسيم الدلالة الحقلية للكلمة في قصيدة "المواكب" على النحو التالي:

الكلمة	دلالاتها المعجمية	الحقل الدلالي العام	الحقل الدلالي الخاص	الدلالة الحقلية داخل النص
أصابع	أطراف اليد، خنصر، بنصر،...	حقل الموجودات	الإنسان	التحكم في الشيء، وتسييره
عالم، السيد، مجيد وذليل	صاحب علم، الكبير، القائد الكريم، الرفيع... الوضيع، الحقير			النزاهة، الصفاء، السمعة الحسنة، لقب، تناقض

¹. جورج ما طوري: المرجع السابق، ص: 105

². المرجع السابق، ص: 127

مصدّر الأخذ، الإدمان...		الحية وغير الحية المادية، التي يُشكّل بينها علاقات خاصة، أو بينه وبينها.	عُضْوُ أَنْثَوِي	ثدي
علامة الأمل، وصوت الخلاص			صوت الألم، والحُزن	أنين
صوت الأمل، والانشراح، رمز الجُبْن، والحقارة... رمز الشموخ، والعزة... رمز الجمال، والكبرياء... رمز الخسة، والضعف... رمز السيّادة، والقوة...	الحيوان		نوع من الطير نوع من الطير نوع من الطير نوع من الطير نوع من السّباع ذكر اللبوة	البُلبُل، الرّزازير، البُزاة، الظّاووس بنو الثعالب، الأسد
رمز الإعجاز، والعُجب رمز الاستحالة، والعجز	ما لا يُرى، أو الخوارق		صنف من الشياطين، والأبالسة من ليس في الحياة	الجِن الأموات
مكان الاستقرار والسّكن رمز الحياة والاستمرار رمزة القسمة، والاستمرار رمز الحرّية، وغياب القوانين... رمز الخصب، والحرّية... ومز الخلود والاستمرار...	المخلوقات الجامدة (غير الحية) المادية		اليابسة، أو اليباس الصّلب، له مساحة خاصة	الأرض، نهر، السّواقي، الغابات، الهضاب، حقْل، إكسير
رمز الهداية والتّيه... رمز الخير والغيث...			عناصر سماوية كوكب، وسحاب	قمر، غيم
رمز العذاب، والهلاك...			عُنصر حراري	النار

الكلمة	دلالاتها المعجمية	حقولها الدلالية العام	حقولها الدلالية الخاص	دلالاتها الحقولية داخل النص
شاخوا، سن، الفظام، ماتوا،	صفة العجز تقدير العمر منع المولود من الرضاعة الانتقال من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة	حقول المجردات وفيه مختلف أنواع المواد أو المخلوقات أو العناصر غير المحسوسة، وغير المادية، التي تُرى والتي لا تُرى. ك، اللون، والطاقة، والعيوب، الزمان، والدين، والسرعة، والعمر...	حقول المجردات	تقلّب الإنسان طيلة عمره في أحوال وحقائق، إلى أن يبلغ أجله، وكلّها تدل على فوات أوان استرداد شيء فأت بعد الندم والنهاية.
دين، الغفر، طه، المسيح، الصلاة.				رموز التعبير عن الغاية من التدن عند فئة من الناس، دلالة على التفاف، والزيف في الاعتقاد.
العزم، السواعد، قويث، ضفعت،	الإرادة القوة قدّرت وهنت			التأكيد على عدم إمكانية التقاء المتناقضات، فالعزم في النفس لن ينكره قدرة الساعد ووهنه.
الغد، أولها، أواخرها، الدهر،	اليوم الجديد، المستقبل.. بدايتها. نهايتها لفظ الزمان			تعني أنّ الحقائق رهينة بوقت وأجل محدّد، هي العوامل القادرة على إظهارها، وأحقاقها...
الذميم، حقير، الكريم، زني، جليل، اللطيف، خبث، مُستأنث، خنيث،	المنبوذ الدليل، المنبوذ محمود الفعال مذموم الفعال رفيع الخصال اللين السهل الماكر، الغادر... المتشبه بالأنثى المتشبه بالأنثى			إظهار ما يعتور الناس من ثنائيات ضدية، تُحدد مكانتهم، وقدّرهم، وحققتهم عند الناس.
الكلمة	دلالاتها المعجمية	حقولها الدلالية العام	حقولها الدلالية الخاص	دلالاتها الحقولية داخل النص
الشتاء، الربيع، الليل	فصل من الفصول		حقول الطبيعة	ومز التجدد والبلى، والانفراد بتفاصيل

صَبُوح	فصل من الفصول ما يَعْقِب النَّهَار/وقت وقت من أوقات النهار	حقل الأحداث	الحياة، وتحول النَّاس بتحولها...
يرعى تُرَاود يَأْتَمِر	يسوس، يُراقب تُحَرِّك، تُثِيرُ يتلقى الأمر...	وفيه جُملة من اللحظات والأحوال، والحوادث التي يكون الإنسان في علاقة تفاعل وتأثير وتأثر معها، فيعمل على التعبير عليها حسب نوعها، وعناصرها، ومنها الطبيعية والمركبة، ومنها ما يدل على الحركة، والتحكم، والإحساس، والانفعال...	يؤنس، يُلْهي، يُسْعِد... تُهيج فيه ما هو كامن... يخضع، ويستسلم دلالة على استدامة الشيء دلالة على القسوة، وإدخال الشيء بالقوة. دلالة على الخضوع... دلالة على التخلي... دلالة على الحركة، والتغير، والقيادة، والمقارنة...
لا يفنى جُبروا تُحَرِّكها تنكسر يسير يندثر يمشي يُجاريه هَبْ	لا يزول أرغموا تَجْعَل فيها حركة تتَحَطَّم يمشي، يتحرك يزول، يتلاشى يسير، يتحرك... ينافسه، يساويه انطلق بقوة...	حقل الصدم والتحول	دلالة على استدامة الشيء دلالة على القسوة، وإدخال الشيء بالقوة. دلالة على الخضوع... دلالة على التخلي... دلالة على الحركة، والتغير، والقيادة، والمقارنة...
آلات أصابع الدهر قُطعان راع عبيداً	أدوات، جمادات.. أفعال الزمان جماعة الماشية سائس، قائد.. خُدامًا، خاضعون..	أنظر(ي): عطية سليمان أحمد "الاتباع والمزاوجة في ضوء المعالجة العصبية ونظرية ومعجم الحقول الدلالية"- ص:124، وما بعدها.	رموز الخضوع والخنوع، والاستسلام، وغياب الحُرِّية، وكثرة القيود
مُرَادُ النَّفْس حُزن الأفراح الكدَر الضَّجر سُرَّوا	رغبة النَّفس كُدرة النَّفس المَسَرَّات الحَزَن الملل، السَّأم أُسْعِدوا ...	حقل الإحساس وأنواع الشُّعور النَّفسي	دلالة على عدم استقرار نفس الإنسان بسبب الأحوال التي تتغير في حياته، فيتغير بتغيرها، ويستقر باستقرارها

يخاف مُبْتَشِر الحُبِّ الغرام	يخشى، يتهيب مَسْرُور، سعيد التَّعلُّقُ بالشَّيء الحُبِّ، والإقبال			
الكلمة	دلالاتها المعجمية	حقلها المعجمي العام	حقلها الدلالي الخاص	دلالاتها الحقلية داخل النص
فوق، العريضة، الغابات، فضاء الفكر، الدُّنيا،	ظرف مكان، ما علا الشَّيء مَسْكَنُ الأَسود الخلاء الشَّاسع المجال، الفراغ.. ما يسبق الآخرة،	حقل العلاقات	حقل العلاقات المكانية	منها ما يدلّ على الثَّبات والاستقرار، ومنَّها ما يدلّ على الأثر والهيبة، ومنَّها ما يدلّ على الحُرِّيَّة، والقيد، ومنَّها ما يدلّ على الوهم والادّعاء، ومنَّها ما يدلّ على بداية الأمل البعيد، والشَّساعة...
الحقول، وراء الأفق، سجنا	وصف للحياة التي نعيشها الآن حبسًا، تقييدًا..	وفيه يُعبّر المُتكلِّم عن جُملةٍ من العلاقات المُمكنة بين الأشياء التي له علاقة ما بها، أو بينه وبينها، وهذه العلاقات قد تكون مكانية، أو زمانية، أو إشارية، أو عقلية.	حقل العلاقات الزمانية	دلالة على الانتقال والتَّحوُّل في حين غفلة النَّاس وانهماكهم بملذَّاتهم، وغرورهم، وفخرهم...
الأولى، الأيام، حال يقظته نيسان ربيعًا الدَّهور يومًا	البداية، الحياة الدُّنيا جمع يوم وقت اليقظة اسم شهر اسم فصل جمع دهر، الزمان أجلًا، وقتًا		حقل العلاقات الإشارية	دلالة على تعدّد الأوصاف في الشَّيء المُشار إليه، وتقلُّبه فيها.
فَدَا، يُعرِّد ذاك إذا.. وذلك بالأحلام..	إشارة للقريب إشارة للقريب إشارة للبعيد	"أنظر(ي) المَرَجع السَّابِق".	حقل العلاقات العقلية	أراد بها الشَّاعر التَّحديد، والتَّوضيح حتَّى لا يَقيِفَ القارئ بتسرُّعه من الشَّاعر موقف سوء ظن، بأنَّه
فإن أمَّا لكن لذلك فإذا ما فال/ ففي	أداة شرط فارقة أداة استدراك، ... مُرْكَب/ استنتاج..			

يُلقي أحكام قيمة فقط....			مُرْكَب / شرطية.. تفسير...	
-----------------------------	--	--	----------------------------------	--

إن التحوّل الدلالي للكلمة، أو لأدوات اللغة، التي هي "الكلمات"، تفرضها عناصر ونظريات لسانية عديدة في الاستعمال التخاطبي من نوع ما، وهذه العناصر اللسانية في تزايد واطّراد، ما دام البحث اللغوي الدلالي والمعجمي نامياً، وفي تطوّر مطّرد، وإنّ مُعطى "السياق" و"الحقول الدلالية" عينة واحدة من عينات كثيرة، يمكن للباحث من خلالها مقارنة دلالة الكلمة، مقاربات عديدة، ومُتوّعة، كما أنّها منافذ لإثبات سلطة نوع من الدلالات على دلالة الكلمة المعجمية، الثابتة. ولا يُعصّد هذه الخاصية إلا قوّة وتميز نوع الخطاب الذي تُقارب فيه دلالة الكلمة، ولا أجدى أو أفضل من الخطاب الإبداعي، ونختار منه الإبداع الشعري، هذا الفضاء اللغوي الذي ما يزال يحيي اللغة، ويُغني مادّتها المعجمية الدلالية، والبنائية، يقول، تيري إيغلتن: "غالباً ما يُوصف الشعر بأنّه لغة تلفتُ الانتباه إلى نفسها، أو التي تُركّز على نفسها، أو كما يصفها المُصطلح شبه السيميائية: اللغة التي يغلب فيه الدال المدلول. "والشعر هو الكتابة التي تتباهي بكيانها المادّي، بدلا من طمسه على نحوٍ مُتواضع، أمام قداسة المعنى، إنه الكلام الرفيع، والمُكثّف".¹

¹ - تيري إيغلتن: ترجمة: باسل المسالمة، المرجع السابق، ص: 77

المراجع والمصادر

- ✓ إبراهيم محمد منصور: الشعر والتصوّف: الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، ط. س. 1945م - 1995م،
- ✓ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ط. 5، س. 1998م، عالم الكتب - القاهرة، مصر،
- ✓ تيري إيغلتن: كيف نقرأ القصيدة، ترجمة: د. باسل المسالم، ط. 1، س. 2018م، دار التكوين للتأليف والنشر.
- ✓ جورج ما طوري: منهج المعجمية، طبعة مطبعة المعارف الجديدة - الرباط - المغرب، س. 1970م، ترجمة: د. عبد العالي الودغيري،
- ✓ حلمي خليل: الكلمة: دراسة لغوية معجمية، ط. 1، س. 1998م، دار المعرفة الجامعية،
- ✓ عبد الرحمن الشوّلي: فلسفة المعنى في الفكر واللغة والمنطق: نظرة إلى جدلية الدوال والمدلولات، ط. 1، س. 2016م، 1434هـ، دار النهضة العربية، بيروت - لبنان،
- ✓ عبد القادر سلامي: علم الدلالة في المعجم العربي، ط. 1، س. 2007م، دار ابن بطوطة للنشر والتوزيع، عُمان،
- ✓ عبد العالي الودغيري: منهج المعجمية لـ جورج ما طوري: منهج المعجمية.
- ✓ محمد مصطفى هدارة: دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت - لبنان، ط. 1، س. 1990م - 1410هـ،
- ✓ محمد محمد يونس علي: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ط. 1، س. 2004م، دار الكتاب الجديد المتحدة - بيروت، لبنان،
- ✓ منقور عبد الجليل: علم الدلالة: أصوله ومباحثه في التراث العربي - دراسة، ط. 1، س. 2001م، منشورات اتحاد الكتاب - دمشق، سورية،
- ✓ نجيب الورقي: انزياحات الحداثة الرومانسية لقصيدة عمود الشعر، مجلة "جسور المعرفة"، ع. 14، س. 2017م، كلية الآداب، جامعة ذمار اليمانية،
- ✓ هيربرت ريد: طبيعة الشعر، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب، مراجعة: د. عمر شيخ الشاب، طبعة منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق، س. 1997م،
- ✓ هادي نهر: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ط. 1، س. 2007م - 1427هـ، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن.